- و عمّا كنتُ أريد أن أحدّثكِ عنه؟

آه تذكّرت؛ دخل رجل يحملُ هدايا في يديه بينما كنتُ موجهٌ وجهي للقبلة أشاهد غروب الشمس و دنوّها من الاختباء خلف جبال بكّة. كل شيء كان يثير الطمأنينة بداخلي و ينشر السلام في عقلي حتى بعثره دخول هذا الرجل. رأيته يضع الهدايا على السرير الأول و الثاني حتى وصل لسريري السادس فنهضت من باب الاحترام له لكي أستلم منه ماكنت أعتقد بأن لي نصيب منها؛ كنتُ مخطئًا إذ لم يمد يده لي بواحده بعدما قرأ اسمي المكتوب على جدار الغرفة ثم بحث في أسماء مسجلة في ورقة لديه و لم يجد اسمي المبجل من ضمنها.!

هوّنت علي ابتسامته و مبادرته العاجلة بشرح سبب عدم وجود اسمي من ضمن المستحقين لواحدة من تلك الهدايا حيث أخبرني بأن تلك الهدايا من النساء الحاجّات لأزواجهم الحجاج بمناسبة عيد الأضحى المبارك. لا أنكر بأني شعرت بالغبن وقتها و أنا أرى كل شخص لديه هديته الخاصة من نصفه الثاني لكن قلت في نفسي ما اعتدت قوله منذ أن عرفتك: " لا يهم"

عدت لاحقًا أشاهد وجوه الحجاج زملائي بالغرفة وهم يشاهدون هدايا زوجاتهم و يقرأون عباراتهن المكتوبة على الهدايا؛ و أقسم لك بأني قرأت كل عبارة كتبت من خلال رؤيتي لتعابير وجوههم. النساء إن كتبن لأحدهم فإنهن يكتبن بصدق فكانت المتعة في مشاهدة ردود فعلهم و التي لا أريد الخوض فيها حتّى لا تشتمين أبناء آدم.

متعة أخرى حصلت عندما هم كل واحد منهم اختيار هدايا لزوجته و كتابة عبارات ترد على العبارات التي كتبت لهم؛ كان مضحكًا أن جميعهم لا يعلم ما سيكتب و مضحك أكثر أنهم يطلبون المساعدة من بعضهم ويستنجدون بهواتفهم؛ و كنت قادرًا على المساعدة لكن إيماني بأن ذلك غش، جعلني أصطنع بأني مشغول بأمر ما على هاتفي.

لفت انتباهي أحدهم وهو حاج مصري أحببت انهماكه في كتابة العبارات اللائقة لزوجته؛ و لم تكفه ورقة بل طلب أخرى ليكمل ما كتب، كانت أعين الآخرين تحسده على تحوّل الورقة البيضاء في يده إلى زرقاء كل كلمة تزاحم الأخرى؛ كانت ابتسامته و ارتفاع حاجبه الأيسر وهو يكتب دلالة على استمتاعه بتلك اللحظة وبتلك الكلمات.

غلّفت الهدايا و أرسلت مع ذات الشخص الذي قضّ مضجع خلوتي وقت الغروب، و عاد بعد تسليمها ليخبرهم بأن النسوة سيفتحون الهدايا و يقرأون العبارات علنًا بينهن؛ كان ذلك أحد بنود اتفاق وضع مسبقا بينهن قبل أن يرسلن الهدايا إلى أزواجهن. كل الرجال تقبّلوا ذلك بصدر رحب وابتسموا إلا الحاج المصري؛ صرخ و لطم على وجهه و قال : " يا لهوتي، يا فضيحتي" !

كانت لتكون متعة كبرى لو اكتمل المشهد و رأيت النساء وهن يقرأن العبارات المهداة لهن ؛ و كنت أرغب بشدة مشاهدة وجوههن و هن يستمعن لما كتب الحاج المصري لزوجته. لا أظنها فضيحة له و لا مصيبة لها؛ بل أعتقد بأن كل من سمع و قرأ تلك الكلمات يعلم حقا حجم حبه لها وحبها له ..!

أقول: لو كنتِ هناك بين النسوة، و كان بين يدي هدية لك و ورقة بيضاء و قلم لأكتب لك بعضًا منّي إليك، ماذا تظنين بأنه سيحدث حينها ؟

و بالمناسبة أيضا كنتِ قد طلبتِ منّي بأن أدعو لك في أيام الحج و المغفرة و لم أفعل لأسباب أنتِ تعلمينها جيدا، لكن كوني موقنة بأني " لم أدعو عليك "